ما هو الضمير؟[1]

ســـؤال

هل هو صـــوت الله؟ هل هو الروح القدس؟ وإن لم يكن كذلك فما علاقته بالله وروحه القدوس؟

الجـــواب

الضمير ليس هو صوت الله، وليس وهو الروح القدس.

وذلك لأن الضـــمير يخطئ أحيانًا... وأحيانًا أخرى يجهل، ويتغير.. ولا يمكن أن ينطبق الجهل والتغيير والخطأ على صوت الله، حاشا.

والدليل على خطأ الضـــمير أحيانًا هو قول الرب: "**تأتي ســـاعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله**" (ي 16: 2) ... فهؤلاء ضـــميرهم يبرر القتل، بل يشـــجعهم عليه، وهو ضـــمير خاطئ، مثل ذلك الريفي الذي يدفعه إلى قتل أخت له قد أخطأت مع رجل، بدلًا من أن يدفعه إلى قيادتها للتوبة.

ومن أمثلة هذا الأمر شـاول الطرسـوسـي قبل إيمانه بالمسـيحية... فقد كان يجر رجالًا ونســاء من المســيحيين إلى الســجن، ويظن أن تلك غيرة مقدســة... فلما آمن، ندم على ما فعله قبلًا، وقال: "أنا الذي كنت من قبل مجدفًا ومضـــطهدًا ومفتريًا... ولكني رحمت لأني فعلت ذلك بجهل في عدم إيمان" (1 تي 1: 13).

وهذا التغيير في ضميره، يثبت أن الضمير ليس هو صوت الله.

---

[1] مقال لقداسة البابا شنوده الثالث – بمجلة الكرازة – السنة السادسة عشرة – العدد الثالث عشر 2-12-1988م

لأن الله "ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (يع1: 17) .... والضـمير قد يدركه التغيير نتيجة لنوعية الثقافة التي تقنعه بأن هذا خير أو شـر، ونتيجة أيضًـا لتأثير المجتمع والبيئة.. ومع كل ذلك نقول:

إن الضـمير ليس هو صـوت الله، ولكنه صـوت من الله، إن كان ضـميرًا سليمًا.

هو صوت بشري داخلي، يهدي الإنسان إلى الخير، ويبكته على الشر، ولكنه يتأثر بالعقل وبالعاطفة، ويعلو ويهبط تبعًا لاقتناعه وتأثراته.. ويحتاج الضـــمير أحيانًا إلى هداية وإلى توعية... وهو ينام أحيانًا ويحتاج إلى إيقاظ.. ولكنه في حالته السـليمة المثالية يمكن أن يسـمي بالشـريعة الأدبية أو الشريعة الداخلية. وكان يحكم البشرية قبل الشريعة المكتوبة الإلهية.

والضمير ليس هو الروح القدس، على الأقل لسببين:

1- لأنه يوجد في جميع الناس، مؤمنين أو غير مؤمنين.. أما الروح القدس فهو في المؤمنين فقط... وقد يدفع غير المؤمنين إلى الإيمان، ولكنه غير ساكن فيهم.

2- لو كان الضمير هو الروح القدس، ما كان يخطئ

غير أن الضمير البشري يستنير بالروح القدس.

فالإنســـان المؤمن الذي يعمل فيه الروح القدس، يكون ضـــميره أعمق إدراكًا، وأكثر فهمًا في التمييز بين الخير والشـر، ويكون تبكيته على الخطية أقوي تـأثرًا على النفس والإرادة... كمـا أن الروح القـدس يمكن أن يهـدي الضمير.